

الاستماتة والجزع من الموت في ساحة عاشوراء

<?xml encoding="UTF-8?">



مسالة الموت في المسيرة الحسينية:

مسالة (الموت) وطريقة التعامل معه من ابرز العناصر التي تدخل في تكوين ملحمة الطف في يوم عاشوراء. وعاشوراء حدث متميّز من بين الاحداث الكبيرة في التاريخ من هذه الزاوية. فقد اعلن الحسين(ع) عند مغادرته الحجاز اءلي العراق: انه سوف يلقي مصرعه في هذه الرحلة: «وخير لي مصرع انا لاقيه، كاني باوصالي تقطّعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلاء». ونعي نفسه اءلي الناس، وطلب منهم ان يبذلوا مهجهم في هذا السبيل، ويوطنوا معه انفسهم للقاء الله: «من كان باذلاً فينا مهجته موطناً علي لقاء الله نفسه فليرحل معنا». وبدا خطابه العجيب هذا بتقديم صورة زاهية جميلة للموت، تمهيداً لدعوتهم اءلي ان يبذلوا له مهجهم، فقال(ع): «خطّ الموت علي ولد ادم مخطّ القلادة علي جيد الفتاة». وعلي امتداد الطريق اءلي كربلاء كان الحسين(ع) يصارح الناس ويصارح اصحابه انهم سائرون اءلي الموت الذي لا بدّ منه، ولم يكن يشك في ذلك اصحاب الحسين(ع) انهم كانوا علي يقين من هذا الامر مابعد يقين. وكان عذر من يتخلف عن نصرة الحسين(ع) اءلي الحسين: انّ نفسه لاتطيب بالموت، والشواهد علي ذلك كثيرة في مسيرة الحسين(ع) اءلي كربلاء، وهذه هي الصفة المميّزة لحادثة الطف. فلسنا نجد او قلّما نجد في قادة الحركات والثورات من يدعو الناس اءلي الموت؛ انهم يدعون الناس اءلي الحركة والثورة، ويطلبون منهم ان يكونوا علي استعداد لتقديم دمائهم للثورة كلما اقتضي الامر. اما الحسين(ع) فله شان اخر. اءنه لا يطلب في رحلته هذه فتحاً عسكرياً بالمعني الذي يتصوره الناس، واءنّما يريد ان يقدم علي تضحية ماساوية فريدة في التاريخ يهز بها ضمير الأمة. لقد وجد الحسين(ع) ان بني أمية تمكّنوا من ترويض ارادة الناس وتطويعهم بعامل الاءرهاب والترغيب وسلب ارادتهم، وفي هذا الجوّ حاول بنو أمية ان يستعيدوا قيم ومواقع الجاهلية في المجتمع الاءسلامي الجديد، دون ان يجدوا مقاومة تذكر من ناحية الأمة، فكان لا بدّ من هزّة قوية لنفوس الناس، تعيد اءليهم ارادتهم السلبية، ولا تتم هذه الهزّة القوية اءلاً بتضحية ماساوية فريدة في التاريخ؛ فاعدّ الحسين(ع) اهل بيته واصحابه لمثل هذا المشهد الماساوي، وانطلاقاً من هذا الفهم قلت: انّ هذه الصفة هي الصفة المميّزة لحادث الطف من الاحداث الأخرى في التاريخ. ومن اعظم الخيانة للتاريخ ان نجرد (عاشوراء) من هذه الصفة المميّزة لها، فلا يبقي من عاشوراء اءذا جرّدناها عن

(الاستماتة) وطلب الشهادة اءلاً ثورة علي النظام الأموي غير متكافئة مع قوّة الظلم، فلم تنجح في تحقيق اهدافها كما كان يتوقّع ذلك الذين كانوا ينصحون الحسين(ع) الا يخرج اءلي العراق، ولم يكن الحسين(ع) يتّهم أولئك في صدقهم في النصح.

لكن الاءمام(ع) كان يري ما لا يرون، ويريد مالا يعرفون.

كيف يواجه الناس الموت؟

للموت شان كبير في تنظيم حياة الناس، والناس امام هذه الظاهرة الطبيعية من سنن الله مثال القهرية في الحياة طائفتان: طائفة وهي الاكثرية الساحقة من الناس يجزعون عن مواجهة الموت ويهربون منه. وطائفة وهي الاقلية من الناس يتحدّون الموت ويشناقون اءليه ويستقبلون الموت.

ولهذه الحالات: (الجزع من الموت، وتحدي الموت) شان كبير في تنظيم حياة الناس وتقرير مصيرهم، فالأمة التي تجزع من الموت لاتحوج الطغاة والجبابرة اءلي جهد كبير لتطويقها وترويضها وتذليلها وتعبيدها لاءرادتهم وسلطانهم، فتتحول حياتها اءلي نوع من التبعية والانقياد للطاغية والجبابرة والطغاة، وبالتدريج يفقدون الوعي والفطرة ومقومات الحياة الكريمة، وهذه صورة من الحياة.

والأمة التي تملك القدرة علي تحدي الموت ولا تجزع منه، وتملك القدرة علي تجاوز الموت لا يمكن ترويضها وتذليلها لاءرادة الطغاة والجبابرة، ولا يمكن مصادرة اءرادتها ومقاومتها.

وهذه صورة ثانية من الحياة، وفيما يلي نحاول ان نتوقف بعض الوقت عند هاتين الحالتين:

الجزع من الموت:

الجزع من الموت ظاهرة واسعة في حياة الناس، ولهذه الظاهرة اثار واسعة في المجتمع من حيث الحركة والمقاومة، وهذه الظاهرة تستحق ان نتوقف عندها وننظر فيها، وفيما يلي نستعرض اءن شاء الله تعالى: اسباب هذه الظاهرة أوّلاً.

واثارها واعراضها السلبية في المجتمع ثانياً.

والوسائل التربوية المفيدة لعلاج هذه الحالة في نفوس الناس ثالثاً.

اسباب الجزع من الموت:

(التعلّق بالدنيا) من اهمّ اسباب الجزع من الموت، ولو انّ اءنساناً يعيش في الدنيا كما يعيش الناس، ويتمتع بطيباتها كما يتمتع الناس، ولكن قلبه لا يتعلق بالدنيا ولا يخيفه الموت ولا يخرج منه اءذا حلّ به. وسوف نتحدث عن هذه النقطة فيما ياتي اءن شاء الله.

ومن اسباب الجزع من الموت ايضاً سوء الاءعداد للآخرة، فيجزع الاءنسان من ان يقدم علي مرحلة جديدة من حياة خالدة لا تفني، وهو لم يعد لها في حياته الدنيا اءعداداً كافياً، واءلي هذا المعني تشير الآية الكريمة مخاطبة اليهود الذين كانوا يعتقدون انّ الله يؤثرهم علي غيرهم من الأمم، وائهم اولياء الله من دون سائر الناس: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ).

وقد روي في هذا المعني' عن الاءمام الصادق(ع): «من احبّ الحياة ذلّ».

وتحليل هذه الرواية وتفسيرها: انّ حب الدنيا والتعلّق بها من اسباب الجزع من الموت، وهما وجهان لقضية واحدة، فمن احب الدنيا جزع من الموت، وبينهما نسبة طردية دائماً، وهذه هي المعادلة الأولى.

والمعادلة الثانية: انّ من يجزع من الموت يذلّ؛ لانه لا يملك القدرة علي اتخاذ الموقف والقرار الصعب، واءذا عجز

الانسان عن اتخاذ الموقف والقرار الصعب كان الة طيعة للمستكبرين، وتبعاً لهم في الموقف والقرار، وهذا هو الذل الذي يحدثنا عنه الائمة الصادق (ع) في هذه الرواية.
وهو اختبار دقيق لدرجة اعداد الانسان للاخرة في الدنيا، فكلما كان هذا الاعداد اكثر وافضل كان جزع الانسان من الموت اقل.

قال رجل لابي ذر: مالنا نكره الموت؟ قال: لانكم عمّرتم الدنيا وخربتم الاخرة، فتكرهون ان تنتقلوا من عمران ايلي خراب.

قيل له: فكيف تري قدومنا علي الله؟ قال: اما المحسن فكالغائب يقدم علي اهله، واما المسيء فكالابق يقدم علي مولاه.

قيل: فكيف تري حالنا عند الله؟

قال: اعرضوا اعمالكم علي كتاب الله تبارك وتعالى: (اِنَّ الْاَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَاِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ).

قال الرجل: فاين رحمة الله؟ قال: اِنَّ رحمة الله قريب من المحسنين.

وروي في هذا المعني ان احدهم سال الائمة الحسن (ع): ما بالنا نكره الموت ولا نحبه؟ فقال (ع): «اءتكم اخرجتكم، وعمّرتم دنياكم، فانتم تكرهون النقلة من العمران ايلي الخراب».

الموقف:

ومن المؤكد ان القوة والشجاعة والاعقدام احد العنصرين اللذين يتكون منهما الموقف، فاءن مقومات الموقف امران: الوعي السياسي، والقوة والشجاعة، فاءذا كان الجزع من الموت يضعف الانسان فهو لامحالة يفقده القدرة علي اتخاذ الموقف العملي في القضايا الصعبة، وقيمة الانسان في ساحة المواجهة والصراع ليس في النية وعقد القلب واءنما في الموقف، وقد كان كثير من المسلمين في عصر الحسين (ع) لا يرتضون يزيد واعماله، ويكرهونه اشد الكره، ولكن الحسين (ع) حوّل هذه الكراهية وهذا الرفض ايلي موقف عملي، وهذه هي قيمة عمل الائمة الحسين (ع).

الموقف هو تجسيد الراي في فعل يبرز انتماء صاحبه ايلي هذا الراي، ويحقّق دفاع صاحبه عن رايه.
اءنّ الناس جميعاً لا يرضون الظلم، ولكن هناك من يبرز هذا الرفض في فعل ويعبّر به عن رفضه، وهذا الفعل قد يكون الخروج عن الطاعة، وقد يكون الثورة، وقد يكون التظاهر والاعتصام.

ومن الطبيعي انّ الرفض وحده لا يكلف الانسان شيئاً، واءنما الموقف هو الذي يكلف الانسان ويثقل كاهله، فالموقف هو الذي يتطلب الضريبة، وصاحب الموقف هو الذي يدفع الضريبة، ولكن لابد ان نقول: اءنّ صاحب الراي السلبي والرفض لا يغيّر مجري التاريخ، واءنما يغيّر مجري تاريخ صاحب الموقف، والرفض والكراهية النفسية لا يحرك الناس واءنما الموقف هو الذي يحرك الناس.

واخيراً فاءنّ المواجهة والصراع يعني الموقف.

انقلاب اللاموقف ايلي الموقف المضاد:

اءنّ مسألة الصراع لا تتحمّل (اللاموقف)، فاءذا لم يتحمّل الانسان الموقف الصعب وضعف عن اتخاذ موقف الحق فلا يمكن ان يبقي من دون موقف ايلي الاخير، واءنّما ينقلب اللاموقف في حياته ايلي موقف مضاد.

والسبب في انقلاب اللاموقف اءلي الموقف المضاد هو السبب في انقلاب الموقف اءلي اللاموقف وهو الجزع من الموت.

فأَنَّ الجزع من الموقف اذا كان يدعو الانسان اءلي التخاذل من الحق اءيثاراً للعافية؛ فاعن الطاغية لا يتركه اءلي الاخير عنصراً غير ذي لون، واءنما يصبغه بصبغته ويسوقه اءلي جانبه، ونفس السبب الذي اعجزه عن اتخاذ الموقف الحق يعجزه عن الامتناع من الانحدار اءلي الباطل، وبذلك يتم تصنيفه في جهة الباطل، فأَنَّ ساحة الصراع - كما ذكرنا - لا تترك الانسان من دون تصنيف، فاعن لم يبادر الانسان ليُصنّف نفسه ضمن جبهة الحق الذي يؤمن به؛ فأَنَّ الساحة تُصنّفه ضمن الخط الحاكم، فيكون عندئذٍ من جند الطاغية واءن كان قلبه ورايه في اتجاه معاكس.

وهنا ينشطر الانسان شطرين متعاكسين: رايه (عقله)، وعاطفته (قلبه) في اتجاه الحق، وموقفه وموضعه الرسمي (اءرادته) المعلن في اتجاه الباطل.

وهذه هي ظاهرة انفلاق الشخصية؛ حيث تنشطر شخصية الانسان اءلي شطرين متخالفين: فيفقد الانسان الانسجام في شخصيته، ويتضارب ظاهره مع باطنه. سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم:

وهذا المفهوم يطرحه الاءمام الحسين (ع) علي جند ابن زياد في كربلاء يوم عاشوراء: «سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم». وهذا السيف الذي يذكره الاءمام هو القوّة والقدرة والسلطان. والاءسلام هو الذي اعطاهم هذا السلطان. لقد كانوا أمة ضعيفة معزولة في الصحراء، فاعطاهم رسول الله (ص) هذه القوّة وهذا السلطان بايمانهم، فهذا السلطان لرسول الله ولمن آمن برسول الله، واخلص وسار علي خط رسول الله، ومن مع رسول اللهواهل بيته، كما صرّح به (ص) في اكثر من موقف، وهذا هو المعني الاول لكلمة (سيفاً لنا في ايمانكم)، والمعني الذي يستتبع المعني الاول: ان هذا السيف الذي جعلناه في ايمانكم لابد ان تقاتلوا به اعداءنا واعداءكم، ولكتكم وضعتم هذا السيف فينا نحن ابناء رسول الله و خلفاؤه، ووظفتم هذا السيف في خدمة اعدائنا.

وهذا هو التشخيص الدقيق الذي قدّمه الفرزدق عن اهل الكوفة عندما ساله الاءمام الحسين (ع) عمّا وراءه فقال: قلوبهم معك وسيوفهم عليك، فأَنَّ اهل الكوفة كانوا في الاغلب علويين، وقلوب العلويين كانت مع الحسين، ولكن سيوفهم انقلبت عليه (ع)، وكثير من الذين خرجوا في جيش ابن زياد لقتال الاءمام الحسين (ع)، كانوا يحبّون الحسين، وكانوا من الذين كتبوا اءليه يطلبون منه ان ياتيهم.

والاءنسان راي (عقل) وعاطفة (قلب) حب وبغض وموقف (اءرادة) وهذه الثلاثة عندما تكون منسجمة ومتكاملة يكون الانسان قوياً، فاءذا تخالفت وتضاربت ضعف الانسان، واصبح بذلك اداة طيعة بيد الطغاة. آخر مراحل الردّة:

لقد فات الفرزدق ان يقول - وكان حرياً به ان لا يفوته ذلك - : اءن انسحاب الانسان يبتدي اولاً وثانياً من الموقف اءلي اللاموقف، ومن اللاموقف اءلي الموقف المضاد المعاكس، هذه هي المرحلة الاولى والثانية من الردّة، والمرحلة الثالثة ان الموقف المضاد يصادر الراي والفكر، ويوجّه الانسان اءلي الراي الآخر وينمّقه له، ويوجّهه حتّي يصادر الراي الاول تماماً، فينقلب الراي اءلي راي معاكس، وينقلب (الحب) اءلي (بغض)، وينقلب البغض اءلي الحب، وهذه هي المرحلة الاخيرة من الردّة التي نسيها الفرزدق، واءذا غابت عن الفرزدق هذه المرحلة الاخيرة من الردّة فاعن القران يسجلها بوضوح: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاؤُوا الشُّعُوءِ ' أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ).

ومن اءساءة السوء ان يحمل الانسان المؤمن السيف علي الله ورسوله واولياء الله، ويقاتلهم في الدفاع عن

الطاغوت؛ فاءذا فعل ذلك فاعنّ الله تعالى يسلب عنه التصديق والاعيمان والوعي والراي، فيكدّب بايات الله، واءذاكدّب بايات الله ورسوله واوليائه عاداهم وابغضهم وهذه الردّة الكاملة.

عودة الانسجام في الطرف المعاكس والانقلاب علي الاعقاب:

وهكذا يعود الانسجام بين البؤر الثلاث لشخصية الانسان: (العقل، القلب، ال ارادة)، او (الراي، العاطفة، الموقف) بعد ان انفلقت الشخصية واختلّت وظهر عليها الارتباك والقلق، يعود الانسجام مرة أخرى اءلي شخصية الانسان، ولكن هذه المرة في خط معاكس تماماً، وفي اتجاه سلبي باتجاه عداء الله ورسوله واوليائه. الاطوار الثلاثة في حياة الانسان:

ومن صور ذلك نجد انّ هناك ثلاثة اطوار للانسان:

الطور الأوّل: الانسجام بين القلوب والسيوف في اتجاه الحق.

الطور الثاني: التخالف بين القلوب والسيوف بين الحق والباطل.

الطور الثالث: الانسجام بين القلوب والسيوف في اتجاه الباطل.

- الحالة الأولى:

حالة الانسجام بين القلوب والسيوف هي حالة فطرية وسليمة وصحيحة، وفيها تجتمع البؤر الثلاث: (العقل، القلب، ال ارادة) فتُرجم العمل بالارادة.

هذه الحالة هي حالة الانسجام والاستقامة والقوة؛ لانّ اجتماع هذه البؤر الثلاث يمنح الانسان القوة، وهي حالة طبيعية وفطرية، وهذه البؤر الثلاث تتبادل التأثير فيما بينها، وبعضها يؤثّر في البعض الآخر.

ومن اثار هذه الحالة: انّ الانسان يعيش مطمئناً لا يعاني من القلق؛ لانّ الراحة النفسية ليست في الامن والرفاه، واءنما في الانسجام بين البؤر الداخلية لشخصية الانسان باتجاه الفطرة، ويتكامل الانسان في هذه الحالة وينمو بصورة سوّية.

- الحالة الثانية:

هي حالة تخالف القلوب والسيوف عندما تخضع ارادة الانسان لعامل الترغيب والترهيب من ناحية الطاغوت، والطاغوت يعمل لاحتلال البؤر الثلاث جميعاً، وأوّل قلعة تسقط هي قلعة ال ارادة تحت ضغط ال ارهاب، وهذه هي بداية السقوط والمرحلة الأولى من الردّة، ويبقي العقل والقلب مستقرّين، واءنّ اول انهيار يصيب الانسان في مواقفه العملية والرسمية والبارزة هو استسلامه لضغط الطاغوت.

والحالات التي ذكرناها سابقاً تنعكس، فيفقد الانسان الراحة وحالة الاطمئنان والانجسام النفسي، ويعاني من القلق وعدم الانسجام، ويضعف ويفقد صبغة الله في شخصيته ويفقد النمو، وهذه المرحلة هي مرحلة (الضعف) في شخصية الانسان، ويعمل الضمير في استعادة التوازن والتعادل والانسجام، فاءذا نجح فلا بدّ ان تعود الشخصية اءلي توازنها في انسجامها، واءلاً فاءنّ الانسان يسقط اءلي المرحلة الثالثة، ويدخل الضمير في صراع عنيف في المرحلة الثانية، وينقسم الناس فيها اءلي شطرين: شطر من نموذج شخصية (الحرّ) يملك ضميراً سليماً قوياً يعيده اءلي الهمرة أخرى، وشر من نموذج (عمر بن سعد) لا يملك الضمير القوي فيسقط اءلي المرحلة الثالثة (المرحلة الثانية من السقوط).

- الحالة الثالثة:

في هذه الحالة يعود الانسجام مرة أخرى بين البؤر الثلاث، ولكن في اتجاه السقوط والباطل، وكان الانسان في داخله يطلب الانسجام، فاءذا لم يتمكن في اتجاه الحق وضعف الضمير من استعادة الانسجام في طرف الحق،

فأعن الانسجام يعود في طرف الباطل، فيكون قلب الانسان وعقله باتجاه اعرادته وعمله، وهذه هي مرحلة الصفر من سقوط الانسان يستفرغ فيها (الطاغوت) و(الهوي) الضمير، ويحتلّان (العقل) و(القلب)، وعندئذٍ يحتلّ الطاغوت المعازل الثلاثة جميعاً لشخصية الانسان، اضافة االي استفرار الضمير من كل ما اودع الله تعالى فيه من المقاومة، وهي حالة الصفر في شخصية الانسان، وعندئذٍ تنقطع الرحمة الالهية عن الانسان؛ لأنّ الرحمة تنزل علي الضمير والقلب والعقل والاعرادة، فاءذا نفذت واستهلكت جميعاً وصودرت فلا يبقي موقع لنزول رحمة الله، وهذه حالة (الكفر)، وهناك حالة أخرى تحت الكفر (تحت الصفر)، وهي حالة (النفاق)، وفي هذه الحالة تعود السيوف االي جانب الحق، ولكن للمكربالحق وليس استجابة له، تبقي القلوب متعلّقة بالباطل، وهذه الحالة تحت الكفر؛ لأنّ القلوب لا تزال فاقدة في هذه المرحلة للايمان والوعي والنور؛ ولذلك يقول الله تعالى: (اِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرِكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ...).

اُثار ونتائج الجزع من الموت في المجتمع:

لظاهرة الجزع من الموت اُثار سلبية واسعة علي حياة الانسان فهي تسلب الناس القدرة علي المقاومة، وتمكّن منهم الطاغية، وتستنفذ ما اودع الله تعالى في ضمائرهم من مقاومة وفي اعرادتهم من قوّة وفي نفوسهم من وعي، ومن ثمّ تستفرغ كل ما اودع الله تعالى في نفوس الناس من قيم واخلاق واعرادة ومقاومة. وهذه الحالة من الاستفرار والاستنفاد هي حالة الاستخفاف التي يذكرها الله تعالى في منهج تعامل الطغاة مع الناس: (فَاسْتَخَفَّ

قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ...)، اءنّ فرعون لم يكن يقدر علي تطويع الناس

لاعرادته وسلطانه، لولا اءنه استنفذ ما اودع الله تعالى في نفوسهم

من قيم واخلاق ومقاومة واعرادة وضمير، وعندئذٍ يكون وزن

الانسان خفيفاً، وينقلب االي حالة عائمة من التبعية الكاملة

للاطغية، واساس هذه الحالة الاعرهاب وهي الاداة المفضّلة

لدي المستكبرين، و(الجزع من الموت) و(الخوف) هو التربة الصالحة لزراع الاعرهاب في المجتمع.

المناهج التربوية لمكافحة هذه الحالة:

واهمّ هذه المناهج منهجان:

1 - تقصير الامل في الحياة الدنيا.

2 - تركيز الشوق االي لقاء الله تعالى:

وهما من افضل المناهج التربوية لمكافحة حالة الجزع والرهبّة من الموت، وهناك مناهج حركية لايسعنا المجال استعراضها والحديث عنها.

والمناهج الأولى هو تقصير الامل في الدنيا، وترقيق العلاقة بالدنيا. فاءنّ شدّة التعلّق بالدنيا وطول الامل فيها من

اكبر الأصر والاغلال التي تعيق حركة الانسان االي الله، فاءذا تحرّر الانسان منها خفّ للقاء الله تعالى، ولم يرهبه

الموت ولم يعبا به، وقع الموت عليه ام وقع هو علي الموت كما قال علي الاكبر(ع) لابيّه عندما قارب كربلاء: «روي

ابومخنف عن عقبة ابن سمعان قال: لما كان السحر من الليلة التي بات الحسين(ع) عندقصر بني مقاتل امرنا

الحسين بالاستسقاء من الماء، ثمّ امرنا بالرحيل ففعلنا، فلما ارتحلنا عن قصر بني مقاتل خفق براسه خفقة ثمّ

انتبه وهويقول: اءتّا لله واءّا اءليه راجعون، والحمدلله ربّ العالمين، ثمّ كرّرها مرتين او ثلاثاً، فاقبل اءليه ابنه علي

بن الحسين(ع) وكان علي فرس له فقال: اءتّا لله واءّا اءليه راجعون، والحمدلله ربّ العالمين، يا ابت، جُعلت

فذاك ممّ استرجعت وحمدت الله؟ فقال الحسين(ع): يا بنيّ، انني خفقت راسي خفقة فعنّ لي فارس علي فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري االيهم؛ فعلمت أنّها انفسنا نُعيت اءلينا. فقال له: يا ابت، لا اراك الله سوءاً السنا علي الحق؟ قال: بلي والذي اءليه مرجع العباد. قال: يا ابت، اءذنْ لا نبالي نموت محقّين. فقال له: جزاك الله خير ماجزي ولدأ عن والده».

والمنهج الآخر تركيز الشوق اءلي لقاء الله من خلال الموت، فاءنّ الموت للمؤمن نافذة اءلي لقاء الله، ولقاء الله للمؤمنين لذّة لا تفوقها لذّة، والحياة الدنيا تحجبه عن لقاء الله، فاءذا حلّ به الموت زال من بصره هذا الحجاب (...). فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ، وعندئذ ينظر المؤمن اءلي اسماء الله وصفاته الحسني وجلاله وجماله وجبروته وكبريائه تعالي من غير حجاب، وهو اعظم اللذات عند المؤمنين، اين منها الجنة ونعيمها وحورها وما خلق الله فيها من نعيم؟

وفي مكارم الاخلاق عن رسول الله(ص): «يا بن مسعود، قصّر املك فاءذا اصبحت فقل: اني لا اُمسي واءذا امسيت فقل اني لا اُصبح، واعزم علي مفارقة الدنيا، واحب لقاء الله ولا تكره لقاءه؛ فاءنّ الله يحبّ لقاء من يحبّ لقاءه ويكره لقاء من يكره لقاءه»

وعن رسول الله(ص): «انّ النور اءذا دخل الصدر انفسح، قيل: هل لذلك من علم يعرف به؟ قال: نعم التجافي عن دار الغرور، والاءنابة اءلي دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله». وعن علي(ع): «شوّقوا انفسكم اءلي نعيم الجنة تحبّوا الموت وتمقتوا الحياة».

مشهد من مشاهد الاستماتة في الطف:

وفيما يلي استعرض مشهداً واحداً من مشاهد الاستماتة والاستهانة بالموت والتشوق اءلي لقاء الله في الطف، وهو من اروع ما يعرفه التاريخ برواية السيد المقرّم في (المقتل). جمع الاءمام اصحابه واهل بيته ليلة العاشر من المحرّم، وطلب منهم ان ينطلقوا في رحاب الارض ويتركوه وحده، وقد اراد ان يكونوا علي هدي وبينة من امرهم، فقال لهم: «أُنْتِي علي الله احسن الثناء، واحمده علي السراء والضراء، اللهم اءنّي احمدك علي ان اكرمتنا بالنبوّة، وجعلت لنا اسماعاً وابصاراً وافئدة وعلمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدّين فاجعلنا لك من الشاكرين. اما بعد فاءنّي لا اعلم اصحاباً اوفي ولا خيراً من اصحابي، ولا اهل بيت ابّر ولا اوصل من اهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً، الاواءنّي لاظن يومنا من هؤلاء الاءداء غداً، واءنّي قد اذنت لكم جميعاً فانطلقوا في حلّ ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ولياخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي فجزاكم الله جميعاً، ثم تفرّقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتّي يفرّج الله فاءن القوم اءنّما يطلبونني، ولو اصابوني لهواً عن طلب غيري».

- جواب اهل بيته:

ولم يكذ يفرغ الاءمام من كلماته حتّي هبّت الصفوة الطيّبة من اهل بيته، وهم يعلنون اختيار الطريق الذي يسلكه، ويتّبعونه في مسيرته ولا يختارون غير منهجه، فانبروا جميعاً وعيونهم تفيض دموعاً قائلين:

«لِمَ نفعل هذا؟ لنبقي بعدك؟ لا ارانا الله ذلك ابداً».

بداهم بهذا القول اخوه ابو الفضل العباس، وتابعته الفتية الطيبة من ابناء الأسرة النبوية، والتفت الائمة امام علي

ابناء عمه من بني عقيل فقال لهم:

«حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا فقد اذنت لكم».

وهبت فتية آل عقيل تتعالي اصواتهم قائلين بلسان واحد:

«وما نقول للناس؟ نقول: تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خيرالاعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم

برمح، ولم نضرب بسيف، ولا ندري ما صنعوا؟ لا والله لا نفعل، ولكننا نفديك بانفسنا واموالنا واهلينا، ونقاتل معك

حتي نرد موردك فقبح الله العيش بعدك».

- جواب اصحابه:

انبري مسلم بن عوسجة ودموعه تتبلور علي وجهه فخاطب الائمة قائلاً:

«انحن نخلي عنك؟ وبماذا نعتذر ايلي الله في اداء حقك؟ اما والله لاأفارك حتي اطعن في صدورهم برمحي،

واضرب بسيفي ما ثبت قائمهبيدي، ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم لقدفتهم بالحجارة حتي اموت معك».

وتكلّم سعد بن عبدالله الحنفي قائلاً: «والله لا نخليك حتي يعلم الله انّا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، اما والله لو

علمت اني أقتل ثم احيا ثم أحرقت ثم أدري يفعل بي ذلك سبعين مرة لما فارقتك حتي القي حمامي دونك، وكيف لا

افعل ذلك واءنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها ابداً؟

وقال زهير: «والله لوددت اني قُتلت ثم نُشرت، ثم قتلت حتي أقتل كذا الف مرة، وانّ الله عزّ وجل يدفع بذلك

القتل عن نفسك وعن انفس هؤلاء الفتيان من اهل بيتك...».

وانبري بقية اصحاب الائمة فاعلنوا الترحيب بالموت في سبيله والتفاني في الفداء من اجله فجزاهم الائمة خيراً،

واكد لهم جميعاً انهم سيلاقون حتفهم فهتفوا جميعاً:

«الحمد لله الذي اكرمنا بنصرك، وشرّفنا بالقتل معك، او لا نرضي ان نكون معك في درجتك يا بن رسول الله؟».

لقد اختبرهم الائمة فوجدتهم من خيرة الرجال صدقاً ووفاءً، قد اشرفت نفوسهم بنور الايمان، وتحرّروا من جميع

شواغل الحياة، وكانوا- فيما يقول المؤرخون - في ظما ايلي الشهادة ليفوزوا بنعيم الآخرة.

وقال محمد بن بشير الحضرمي - وكان قد بلغه ان ابنه قد أُسر بـغـر الرّي - فقال: ما أحب ان يؤسر ابني وانا ابقي

بعده حيّاً، فاستشعر الائمة من هذه الكلمات رغبته في انقاذ ابنه من الاسر فاذن له في التخلي عنه قائلاً: انت

في حلّ فاعمل في فكاك ولدك، فقال: «اكلتني السباع حياً اءن فارقتك...».

فلما ان استوثق الحسين من اقبالهم علي الموت وعزمهم علي الشهادة في سبيل الله قال لهم: «يا قوم، اءتي غداً

أُقتل، وتقتلون كلكم معي، ولا يبقيني منكم واحد» فقالوا: الحمد لله الذي اكرمنا بنصرك، وشرّفنا بالقتل معك، اولا

ترضي ان نكون معك في درجتك يا بن رسول الله؟ فقال: جزاكم الله خيراً، ودعا لهم بخير.

فقال له القاسم بن الحسن (ع): «وانا فيمن يُقتل؟ فاشفق عليه، فقال: يا بني كيف الموت عندك؟ قال: يا عم احلي

من العسل».

فقال: اي والله فداك عمك، اءنك لاحد من يُقتل من الرجال معي بعد ان تبلو ببلاء عظيم، وابني عبدالله

(الرضيع)».